الباب الثالث

مخالب المشروع الإيراني

الفصل الخامس

شـيعة العراق.. الغنيمة الكبرى

الفصل الخامس

شـيعة العراق.. الغنيمة الكبرى

شكلت الهيمنة على العراق أحد أطماع النخب الإيرانية منذ طرد العثمانيين لفارس من العراق عام ١٧٩٧م، في أعقاب وفاة كريم خان زاند.

بعد الحرب العالمية الأولى، وتفكك الإمبراطورية العثمانية، حاول علماء الدين الشيعة إقناع قاجار شاه في طهران لضم المدن (المقدسة) في العراق. لكن القاجاريين، الذين كانوا في طريقهم إلى مقبرة التاريخ، لم يكونوا في موقف يمكنهم من الحلم بغزو جديد.

وبمجرد أن بدا واضحاً أن العراق سيصبح دولة مستقلة بدعم بريطاني، قرر علماء الدين مقاطعة العملية برمتها، وأبقوا على الشيعة العراقيين على الهامش.

بحلول أربعينيات القرن الماضي، وجدت النخبة الإيرانية نفسها مضطرة يتقبل حقيقة استقلال العراق. وفي الخمسينيات، فشلت محاولة للربط بين الدولتين عبر زواج ملكي، عندما أخفقت الأميرة شاهيناز، ابنة الشاه، والملك العراقي فيصل، في تنمية ود كافٍ بينهما للمضي قدماً في تنفيذ الخطة.

وفي الستينيات ومنتصف السبعينيات، حاولت الأنظمة العراقية اجتثاث جذور النفوذ الإيراني عبر التأكيد على عروبة العراق. فبين عامي ١٩٦٨م و١٩٧٥م، تعرض ما يقرب من مليون عراقي للطرد من بلادهم بسبب روابطهم الإيرانية. وحاول البعثيون أن يستبدلوا بهم مهاجرين من عرب خالصين من مصر وفلسطين.

في أعقاب إبرام اتفاقيات عام ١٩٧٥م التي أدت إلى استعادة العلاقات بين الجانبين بعد سنوات من العداء، حاول الشاه إحياء الوجود الإيراني في العراق عبر التجارة والحج والتواصل الثقافي.

وانتهى هذا المخطط عام ١٩٧٩م بسيطرة علماء الدين على السلطة في إيران، ولم يرغب حاكم إيران الجديد، آية الله روح الله الخميني، في التمتع بنفوذ داخل العراق فحسب، وإنما رغب في السيطرة عليه[١].

فأهداف إيران الإستراتيجية في العراق كثيرة ومتعددة، ولا تقف عند حد، ويمكن الحديث بسهولة عن الأهداف الآتية:

(١) احتواء شيعة العراق من خلال الأحزاب الموالية لإيران واستخدامهم ورقة مقايضة في أي استحقاق إقليمي ودولي لتهدئة الوضع أو إثارته في العراق.

(٢) دعم المرجعية الشيعية والحوزة في النجف تمهيدًا للسيطرة على قراراتها ومحاولة تحجيم دورها كي تبقى مرجعية قم هي المرجعية الأولى لشيعة العالم.

(٣) إيران لديها مشروع نووي طموح ولديها حلم بإعادة الإمبراطورية الفارسية والصفوية، ولن تتخلى عنهما بسهولة، لذلك فهي تسعى إلى أن تتخذ من العراق ورقة ضغط سياسية تساوم بها في الساحة الدولية.

(٤) منع شيعة العراق من توحيد كلمتهم داخل العراق أو بسط سيطرتهم على أبناء الطائفة الشيعية بشكل يهدد السيطرة الإيرانية عليهم.

(٥) إملاء التوجهات الإيرانية على الأحزاب الموالية لها بصورة تؤثر في مجريات الأحداث في الساحة العراقية.

(٦) إيجاد تغييرات ديموجرافية على الأرض العراقية بُغية تحويل جنوب العراق (خاصة بعد الانسحاب الأمريكي) إلى مقاطعة إيرانية أو إقليم عراقي تحت الوصاية الإيرانية من خلال تشكيل تجمعات إيرانية في تلك المناطق وتطهيرها من أهل السنة بالاعتقال أو الاغتيال أو التهجير.

(٧) محاولة اقتراب النظام الإيراني من الإدارة الأمريكية وطمأنتها لإكمال المشروع النووي الإيراني، ولن يتم ذلك إلا على أرض العراق كالتقارب الأمريكي السوري على أرض لبنان عام ١٩٨٣م.

(٨) السيطرة على المزارات والعتبات للاستفادة منها سياسيًّا ودينيًّا وماديًّا.

(٩) إيجاد سيطرة إيرانية كافية على أرض العراق تحت مظلة الاحتلال الأمريكي والبريطاني بأدوات دينية المظهر وعلى النموذج الإيراني ما يضمن لإيران الحيلولة دون قيام عراق يهدد إيران.

(١٠) بسط النفوذ الاقتصادي الإيراني في العراق من خلال ما يأتي:

- تنشيط طبقة قوية من التجار الإيرانيين العائدين إلى العراق، وخاصة بمدينتي كربلاء والنجف ومحاولة السيطرة على السوق العراقي.
- فتح فروع لبنوك إيرانية تحت عباءة عراقية في مدن عدة، مثل الكوت، والبصرة، والديوانية.
- خلال السنوات الأخيرة وبسبب المقاطعة الدولية للعراق أصبحت حقول النفط العراقية غزيرة بالنفط، لذلك تسعى إيران إلى السيطرة على النفط العراقي، وذلك من خلال مد ثلاثة أنابيب لنقل النفط. وقد ذكر وزير النفط الإيراني (بيجان زنكنة): أن العراق سيصدر النفط الخام إلى إيران، وأن إيران ستمد أنبوبين لنقل الخام من البصرة إلى المصفاة الإيرانية.

(١١) إنشاء وسائل إعلام موالية للتهيئة الفكرية للمشروع الإيراني.

(١٢) اغتيال العناصر والرموز الشيعية التي تشكل خطرًا على المشروع الإيراني في العراق كما حدث لـ(عبدالمجيد الخوئي).

إن المساعدات التي قدمها الإيرانيون لقوات الاحتلال في العراق كثيرة، حيث إن أهم ما حصلوا عليه في العراق هو موافقة السيستاني الإيراني بإصدار فتواه للشيعة العرب العراقيين بعدم مقاومة الاحتلال، إضافة إلى تعاونهم الوثيق مع الأمريكان بإصدار تعليماتهم للسيستاني من أجل تخدير الشارع الشيعي العربي ودفعه للمشاركة في مهزلة الانتخابات.

أما المثال المعلن على التعاون العسكري الإيراني مع قوات الاحتلال فهو مساعدة الإيرانيين للقوات العسكرية التي قادتها الولايات المتحدة في احتلال العراق، الذي نشرته صحيفة (الأسترالي) الأسترالية، وذلك في أثناء الأيام الأولى للعدوان على العراق.

فقد نشرت الصحيفة تصريحاً لقائد القوات البحرية الأسترالية المشاركة في العدوان على العراق، الأدميرال ريتشي، مفاده أن القطع البحرية الأسترالية وجميع السفن الأخرى في الخليج العربي قرب المياه الإقليمية العراقية قد وضعت في حالة إنذار شديد حين تم (اكتشاف) أربعة قوارب انتحارية عراقية محملة بالمتفجرات للقيام بأعمال قتالية ضد القطع البحرية المشاركة في العدوان على العراق. وما لا يعرفه القارئ أن هذا التحذير قد جاء بناء على معلومات من الإيرانيين عندما اكتشفت قوات خفر السواحل التابعة لهم تلك القوارب العراقية في مدخل شط العرب، واعترضت طريقها، وأن واحداً من تلك القوارب قد تمت السيطرة عليه، حيث كان محملاً بما مقداره ٥٠٠ كيلوجرام من المتفجرات.

فهل يعني هذا الخبر الأكيد أن الإيرانيين لم يكونوا يساعدون قوات الاحتلال في تنفيذ مهمتهم باحتلال العراق؟

لو أن أحد هذه القوارب قد ضرب، مثلاً، سفينة المواصلات الأسترالية (كانيمبلا) التي كانت موجودة قرب المياه الإقليمية العراقية على مقربة من مدخل شط العرب، وقتل على أثر هذا الهجوم الانتحاري المئات من الجنود الأستراليين الذين كانوا على ظهر السفينة، ألم تكن تلك ضربة قاصمة للأمريكان، ومن ساعدهم على شن العدوان على العراق، وخصوصًا في أيام العدوان الأولى؟

المهم في الأمر أن (الاكتشاف) المنوه عنه أعلاه لم يتم من قبل الأستراليين أو غيرهم من القوات المعتدية على العراق، بل تم من قبل الإيرانيين الذين أخبروا قوات العدوان به. فالأستراليون وغيرهم من قوات الاحتلال لم يكونوا في حاجة إلي وضع قطعهم البحرية في حالة إنذار شديد لولا تحذير الإيرانيين لهم، الحالة التي من دونها ربما نكون قد شاهدنا قطعة أو قطعتين بحريتين من القطع المشاركة في العدوان على العراق، وقد انتهت إلى قاع الخليج العربي بمن فيها من جنود ومعدات عسكرية. إن ذلك يثبت بما لا شك فيه أن الأسطول الإيراني كان يشارك بشكل فعال في العدوان على العراق من خلال مراقبته للقطع البحرية العراقية ومنعها من الدفاع عن العراق، وبالأخص ما قام به من عمليات قرب الشواطئ العراقية التي كانت إحداها ما ذكر أعلاه.

الغريب في الأمر أن ذلك الحادث لم يأتِ ذكره في أي من وسائل الإعلام الأمريكية والبريطانية، بل حتى الصحف الأسترالية لم تنشر الخبر على صدر صفحاتها على الرغم من أن الفعل الإيراني قد جنب الأستراليين كارثة كبيرة، بل نشروا الخبر في الصفحات الداخلية وبالشكل الآتي: (البحرية الأسترالية أنقذت الأستراليين من هجوم قارب عراقي انتحاري). ولم تذكر وسائل الإعلام الأسترالية كيف أنقذت البحرية أرواح الأستراليين من ذلك الهجوم، إضافة إلى أنهم لم يذكروا أن الإيرانيين هم من حذرهم من ذلك الهجوم.

يجب ألا ننسى أيضًا التعاون بين إيران وقوات الاحتلال الأمريكية للعراق عندما ساعدت إيران قوات الاحتلال في القضاء على مجاميع أنصار الإسلام في شمال العراق. وعندما حاولت مجاميع من أنصار الإسلام العودة إلى داخل إيران، وبعد دخولها الأراضي الإيرانية بنحو كيلومتر واحد، ألقت السلطات

الإيرانية القبض عليهم، وأعادتهم إلى العراق، كما صرح بذلك محمد حاجي محمود، زعيم الحزب الديمقراطي الاشتراكي الكردستاني، وحسبما ذكرته صحيفة Australian Financial Review الأسترالية. والمعروف جدًا أن إيران كانت تدعم أنصار الإسلام بشكل سري مدة عامين قبل احتلال العراق مباشرة، والأغرب من ذلك أن الناطق باسم وزارة الخارجية الإيرانية قد صرح بأن أنصار الإسلام هي مجموعة متطرفة وذات أهداف مشبوهة، وأن إيران ليست لها علاقة بهم. وعن هذا التعاون الذي أبدته إيران لقوات الاحتلال صرح وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد بقوله، (إن إيران لم تفعل أي شيء يجعل حياتنا صعبة في العراق).

ويجب ألا ننسى التسليح الأمريكي والإسرائيلي لإيران في أثناء الحرب العراقية الإيرانية. فمن دون السلاح والعتاد الأمريكي لم يكن لإيران المقدرة على خوض تلك الحرب الطويلة مع العراق، خصوصاً أنه عند بداية الحرب كانت جميع أسلحة إيران أمريكية الصنع، وبهذا كانت إيران حاجة ماسة إلى العتاد والأدوات الاحتياطية لأسلحتها التي كانت تزودها بها أمريكا وإسرائيل[٢].

كما تشكلت فصائل المعارضة العراقية في لندن وواشنطن بالتنسيق مع طهران قبل الحرب والاحتلال، وأفتت المرجعيات الإيرانية في أتون المعركة بأن تقدم فصائل المعارضة العميلة كل الدعم والمعلومات المتاحة عن المواقع العسكرية العراقية للقوات الأمريكية، كما أفتت هذه المراجع بتحريم رفع السلاح في وجه قوات الاحتلال.

قبل الحرب وأثناءها كانت دبلوماسية الأبواب الخلفية بين أمريكا وإيران على أشدها، وتم هذا التنسيق في العواصم الأوروبية، وأدى هذا التنسيق إلى

موافقة إيران على تجنيب دخول قوات بدر إلى العراق وتم تحييدهم، وتم الزج بمجموعات من المخابرات الإيرانية ومن المعارضة العراقية في شمال العراق عبر إيران وبالتفاهم مع واشنطن.

وبعد الاحتلال الأمريكي للعراق أضحت بلاد الرافدين ملعبًا لأجهزة الاستخبارات الإيرانية. فقد قالت صحيفة الشرق الأوسط الصادرة بتاريخ ٢٠٠٥/٨/٢٤م تحت عنوان: (عناصر المخابرات الإيرانية في العراق): إن إيران أرسلت وفقًا لبعض الوثائق إلى جانب إفادات العقيد إسماعيل من قادة فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني والرائد ياسر من استخبارات الحرس ومسؤول كبير في مكتب المرشد خامنئي، ما بين ثلاثة إلى أربعة آلاف من رجال الحرس الثوري وفيلق القدس ووزارة الاستخبارات الإيرانية إلى العراق منذ سقوط النظام العراقي. إضافة إلى حضور إيران في كردستان العراق عبر مكاتب استخبارات الحرس الثوري الإيراني الرسمية في السليمانية وأربيل.

وأضافت الصحيفة أن الاستخبارات الإيرانية اشترت ما يزيد على خمسة آلاف بيت وشقة ودكان ومستودع ومكتبة ومسجد ومطعم ومحطة بترول...إلخ، في البصرة والديوانية والعمارة والكوفة والنجف وكربلاء والكاظمية وبغداد ليقيم فيها عناصر الاستخبارات الإيرانية ويعملون فيها.

ونوهت الصحيفة إلى أن خامنئي عيّن ممثلين ووكلاء له في المدن الشيعية، حيث يتولى هؤلاء دفع الراتب الشهري إلى ما يزيد على ٧ آلاف شخص.

وورد في تصريح للأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي في أثناء كلمة ألقاها يوم ٢١ سبتمبر ٢٠٠٥م أمام معهد بيكر للسياسات بمدينة

هيوستن أن: (إيران سيطرت على جنوب العراق ويا للسخرية تحت حماية القوات الأمريكية).

وصرح مدير شرطة واسط يوم ٢٠٠٣/١١/٢١م لجريدة الزمان: (إن عناصر من الاستخبارات الإيرانية تسربت إلى داخل الحدود العراقية، وإنه تم ضبط سيارات تحمل أسلحة قادمة من إيران إلى داخل الأراضي العراقية تعود لعناصر تريد إحداث البلبلة والتخريب داخل العراق، وتم إلقاء القبض على عناصر متسللة من إيران بتهمة ارتكاب جرائم قتل داخل العراق).

وقال وزير الخارجية العراقية هوشيار زيباري لوسائل الإعلام في ٢٠٠٥/٩/١٤م: (هناك معلومات مؤكدة أن أسلحة تُهرب من إيران إلى العراق).

وأعلن وكيل وزارة الداخلية العراقي اللواء حكمت موسى سلمان لوسائل الإعلام بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٢م أنه: (تم إلقاء القبض على اثنين من عناصر المخابرات الإيرانية بدعوى التخطيط لعملية تفجير سيارة مفخخة داخل العاصمة بغداد).

وكشفت التقارير الصحفية المتواترة عن التغلغل الإيراني في العراق أن كثيراً من المنظمات والمليشيات الموجودة في مدينة البصرة تدار بشكل مباشر من قبل المخابرات الإيرانية. وأكدت هذه التقارير أن لكل من المنظمات والمليشيات الوارد ذكرها ثلاثة مستشارين إيرانيين يشرفون على الجوانب السياسية والعسكرية والاستخبارية، وتعهد إليهم مهمات التدريب والتسليح والتمويل ووضع الخطط ومتابعة تنفيذها. وأكدت كذلك أن إيران سلمت

تلك الأحزاب أسلحة وذخائر متنوعة أبرزها صواريخ مضادة لطائرات الهيلوكبتر، وصواريخ فجر ٣، وأن إيران أنشأت فرقًا للموت من أعضاء المنظمات والمليشيات مهمتهم تنفيذ عمليات التصفية الجسدية في شتى أنحاء العراق.

أهم هذه الحركات والمنظمات: المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، حزب الدعوة، حزب الدعوة تنظيم العراق، منظمة ثأر الله، العشار، الكزارة، حركة حزب الله، منظمة العمل الإسلامي، حركة مجاهدي الثورة الإسلامية، حركة سيد الشهداء، حركة ١٥ شعبان، منظمة الطليعة الإسلامية، حركة بقيت الله، حزب الفضيلة، حزب الوفاق الإسلامي، التيار الصدري.

وأصبح معروفًا على نطاق واسع بين المراقبين أن ضباط الحرس الثوري الإيراني وضباط المخابرات الإيرانية يتولون الإشراف على جميع أنشطة الأحزاب والحركات المذكورة، وأنه منذ احتلال العراق، أدخلت إيران كميات كبيرة من الأسلحة المختلفة بما فيها الأسلحة الثقيلة والصواريخ إلى الأحزاب والحركات المذكورة، ليجري إخفاؤها وتخزينها في الأماكن المخصصة. وقامت إيران منذ احتلال العراق بإقامة عشرات الدورات للتدريب العسكري وحرب العصابات والشوارع والتدريب الاستخباري داخل إيران وبإشراف الحرس الثوري والإطلاعات الإيرانية لقيادات وعناصر الأحزاب والحركات المذكورة، ثم أعادتهم إلى العراق.

لقد قام الحرس الإيراني والمخابرات الإيرانية بتشكيل (فرق الموت) وهي مجموعات للاغتيالات والتصفية من عناصر الأحزاب والحركات السابقة وبداخلها عدد من العناصر الإيرانية، وجرى تدريبها داخل إيران على عمليات

الاغتيال والخطف وتسليحها وتمويلها والإشراف على عملها. وهي تعمل بغطاء تشكيلات وزارتي الداخلية والدفاع الإيرانيتين، وقوائم الأسماء المطلوب قتلها وخطفها وعناوينهم تصل من إيران إلى العراق، وبعض تلك الشخصيات تم خطفها وإرسالها إلى إيران، وتشمل عمليات الاغتيال والخطف كبار الضباط في الجيش، الطيارين، ضباط الأجهزة الأمنية، الأطباء، أساتذة الجامعات، العبثيين، علماء الدين البارزين والمؤثرين، شيوخ العشائر الرافضين للاحتلال... إلخ.

وتعمل المخابرات الإيرانية في العراق من الجنوب إلى الوسط إلى الشمال وبكل قوتها وبحرية عالية، وتقوم بممارسة نشاطها من خلال الواجهات الاستخبارية المنتشرة في العراق من مؤسسات العمل الخيري، المستشفيات، شركات السياحة، المكاتب التجارية .....إلخ. وعملت إيران على الدفع بالكثير من العناصر ذات التبعية الإيرانية والأشخاص من ذوي الأصول الإيرانية داخل مؤسسات وزارتي الداخلية والدفاع ووزارات الدولة لاستخدامهم لاحقًا في تحقيق أهدافها داخل العراق، وعملت على زيادة كادر السفارة الإيرانية ليصل إلى أكثر من خمسين دبلوماسيًّا خدمة لأهدافها، إضافة إلى القنصليات بالمحافظات الجنوبية والفرات الأوسط[٣].

ونتيجة لكل الجهود السابقة، فقد أصبح الوجود الإيراني في العراق كبيراً وظاهراً، ففي الأسواق العراقية تتصدر واجهة المحالّ البضاعة الإيرانية التي تحمل علامات مكتوبة باللغة الفارسية، مواد غذائية وأدوية وصناعات الكترونية متوسطة. فعندما تتجه إلى أي صيدلية في بغداد لشراء دواء معين سوف يسألك الصيدلي، إن كنت تفضل الصناعة الإيرانية أو الأردنية أو

الغربية لهذا الدواء، وغالباً ما يختار العراقيون الصناعة الإيرانية، كونها الأرخص ثمناً. وهذه الفكرة تنسحب كذلك على بعض الصناعات الكهربائية والميكانيكية غير المعقدة. يزدحم سوق الشورجة التاريخي والشهير منذ مئات السنين بتجهيز العراق بالمواد الغذائية والاستهلاكية بالجملة بالبضاعة الإيرانية، التي لم تجد من ينافسها من حيث الأسعار. والأكثر من هذا صار المستهلك العراقي لا يستغرب أن يجد في هذا السوق وغيره من أسواق بيع المواد الاستهلاكية بالجملة تجاراً إيرانيين يتحدثون الفارسية.

اللغة الفارسية ذاتها لم تعد مستغربة، وهي تتداول مثلما العملة الإيرانية (التومان والريال) في أسواق بغداد والنجف وكربلاء والبصرة، ولا يخفي طبيب عراقي من أهالي البصرة، رأيه عندما قال إنه (صار علينا أن نتعلم الفارسية، حتى نعرف نتفاهم مع الناس). ويتذكر العراقيون ذلك النائب البرلماني الذي طالب الجمعية الوطنية، بأن تعدّ القومية الفارسية القومية الرابعة في العراق، بعد العربية والكردية والتركمانية، وقد لاقى هذا المقترح استهجان غالبية النواب الذين كان بعضهم لا يتوانى عن تبادل الحديث مع زميل له باللغة الفارسية خلال اجتماعات المجلس.

الوجود الإيراني شعبيًّا يبدو واضحاً وجليًّا في مدينتي كربلاء والنجف، وكذلك في محافظة البصرة. وإذا كان لهذا الوجود ما يبرره في المدينتين الشيعيتين كربلاء والنجف، حيث تعد زيارة الإمام علي وولديه الحسين والعباس واجبة على الشيعة، فإن هذا الحضور يعد مفروضاً على أهالي البصرة، كما يرى بعضهم. في كربلاء تلاحظ الوجود الإيراني، أكثر مما تلاحظه في النجف. ففي المدينة التي تحتضن مرقدي الإمامين الحسين

والعباس (كربلاء) تلتقي المئات من الزوار الإيرانيين، في الأسواق والفنادق والشوارع العامة، وهذا الوجود يتقلص في مدينة النجف التي يتمسك أهلها بعدم السماح لتكريس الوجود الإيراني مع أنه يشكل عاملاً اقتصاديًّا إيجابيًّا لهم.

في مدينتي النجف وكربلاء توجد الكثير من المكتبات الحديثة التي تروج للكتب الإيرانية.

الأهم من هذا كله، هو تسلل الثقافة الإيرانية إلى الشباب العراقيين، خاصة في مدن البصرة وكربلاء والنجف، حيث يسعى جيل من الفتيان والشباب العراقي، ومن كلا الجنسين إلى تعلم اللغة الفارسية والتحدث بها، بوصفها بديلاً عن اللغة الثانية الإنجليزية، التي يجب أن يتعلمها هذا الجيل، وإن مفردات التفاهم والتحية بين هذا الجيل صارت فارسية، مثل استخدام مفردة (خوبي) الفارسية، بدلاً من (كيف حالك) العربية أو (شلونك) العراقية، يضاف إلى هذا الحرص على اقتناء الأغاني الفارسية ووضع أشرطة هذه الأغاني في مسجلات السيارات وبصوت عالٍ بوصفها صيغة من صيغ التمرد على الأغاني العربية السائدة. أما بالنسبة إلى الفتيات، فإن غالبية من بنات البصرة والنجف وكربلاء يرتدين اليوم الحجاب على الطريقة الإيرانية (التشادور).

ومن الناحية الثقافية، فإن الزائر للعراق لا يمكنه أن يمر في مدينة أو قرية عراقية من غير أن يجد فيها مراكز ثقافية ومكتبات ممولة من قبل إيران، وهذه المراكز والمكتبات وضعت وموّلت إيرانيًّا لأهداف إستراتيجية ولتحقيق أهداف سياسية محددة.

إيران تمول الأحزاب السياسية الشيعية، سواء كانت هذه الأحزاب كبيرة ومشهورة أو صغيرة ومغمورة، وتنفق ملايين الدولارات على إعلام هذه الأحزاب وتحركاتهم وتزويد ميليشياتهم بالأموال والأسلحة، وهي تقوم أسبوعيًّا بدعوة المئات من العراقيين لزيارة المراقد المقدسة في إيران، على شكل فرق سياحية مجاناً، وهناك يبقون لما يقرب من ٣ أسابيع ينظم الإيرانيون لهم محاضرات ولقاءات مع مسؤولين أمنيين وحكوميين ومهنيين.

بدأ الوجود الإيراني في العراق يدخل مراحل جديدة، فقد كان وجودًا مخابراتيًّا وتزويد الميليشيات بالأسلحة والأموال فقط، أما الآن فقد تغلغل في عمق الحياة العراقية، من خلال سيطرته على الطاقة والاقتصاد والاتصالات.

يستورد العراق من إيران كل مصادر الطاقة كالوقود والغاز والكهرباء، وبهذا تستطيع إيران أن تتلاعب بمصائر العراقيين من خلال السيطرة على عصب الحياة، وهو الطاقة. فهناك سعي حثيث من قبل إيران، لأن تسيطر على مصادر الطاقة والحياة في العرق، وأن تتحكم فيها، وأبرز هذه المصادر الحياتية هي موضوع الاتصالات بواسطة الهاتف الجوال، حيث كان هناك شرط في إبرام عقود الاتصالات، يقضي بعدم منح أي عقد لشركة غير حكومية، ثم تنازلت الحكومة العراقية عن هذا الشرط لتهيئ للحكومة الإيرانية الفوز بعقد يمكنها من احتكار الاتصالات الخلوية، أي أن تسيطر الحكومة الإيرانية على جميع شبكات الاتصال عن طريق الجوال، ونحن نعرف الخطورة الأمنية والحياتية لهذا الموضوع.

مظاهر خفية في التدخل الإيراني من أجل تخريب الاقتصاد العراقي، وذلك عن طريق تهريب النفط إلى إيران عبر منافذ البصرة، فالحكومة

الإيرانية ومخابراتها متورطة في موضوع تشجيع تهريب النفط العراقي إلى إيران، ولو أغلقت إيران حدودها وموانئها أمام عمليات تهريب النفط إليها، لتوقفت هذه العمليات تماماً، لكن الحكومة الإيرانية تريد إفلاس العراق ووضعه تحت سيطرتها تماماً[٤].

أصبحت كلمة (احتلال) وصفًا أقل من معبر عن الوجود الإيراني في العراق، فالاحتلال الأمريكي واضح وجلي ومعلوم، ويشاهده العالم كله عبر الأقمار الصناعية، أما الاحتلال الإيراني فخفي وغير ظاهر، ولكنه الأخطر؛ لأنه يمسك بتلابيب العراقيين السياسية والثقافية والاجتماعية والدينية، ويتخل في كل كبيرة وصغيرة في حياتهم.

وإيران تدرك أهمية احتلالها للعراق، وأهمية سيطرتها على الشيعة والعتبات المقدسة عند الشيعة والمزارات، فللعراق أهمية كبيرة في مشروع الهيمنة الإيراني، ولذلك فإن الإيرانيين لن يتخلوا عن الوجود الدائم في العراق بأي شكل من الأشكال.

الهوامش:

(١) أمير طاهري، المخطط الإيراني الكبير للعراق، الملف نت، ٢٠٠٩/١١/١٨م.

(٢) د. محمد يحيى، التعاون الأمريكي ـ الإيراني في احتلال العراق ... حقائق دامغة، وكالة الأخبار الإسلامية (نبأ)، دون تاريخ.

(٣) التغلغل الإيراني في العراق، الملف نت، ٢٠٠٧/٧/٣٠م.

(٤) النفوذ الإيراني في العراق.. اللغة والمكتبات والعملة والتشادور والثقافة والحشيشة وزواج المتعة، صحيفة الشرق الأوسط، ١٨مايو/أيار ٢٠٠٧م.

الفصل السادس

(حزب الله) اللبناني.. رأس الحربة

الفصل السادس

(حزب الله) اللبناني.. رأس الحربة

عندما قامت الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م، كانت إيران تريد أن تنال إعجاب وتأييد الدول العربية، وقد رأت أن ذلك ممكن، مستفيدة بشكل خاص من الدعم الذي أعلنه شاه إيران لإسرائيل وعلاقته معها قبل انهيار نظامه. وعلى هذا، ومنذ اليوم الأول لانتصار الثورة، كانت إيران الثورة حريصة على مد أواصر علاقاتها مع البلاد الإسلامية، وعندما تعذر هذا في معظم الحالات للكثير من الأسباب المعقدة والمركبة بدأت إيران الثورة تبحث عن (تنظيمات) بدلاً من «نظم أو دول»، تواصل من خلالها دورها في القضايا الإسلامية، الذي حرصت على أن تظهره على أنه أحد أسس الثورة ومعتقداتها، فكانت التحولات الداخلية في إيران خلال الأشهر والسنوات الأولى من الثورة الإيرانية تنال الاهتمام الذي نالته قضايا فلسطين ولبنان ومقاومة (الصهيونية العالمية) و(قوى الاستكبار).

عملت الثورة الإيرانية على نيل إعجاب الدول العربية، ورأت أن ذلك الإعجاب يحررها من تهمة العنصرية الفارسية، التي دمغت بها.

نشبت الحرب العراقية - الإيرانية، وسعت إيران الثورة لتكوين تحالفات مع الدول العربية، لكنها لم تنل سوى دعم سورية وليبيا والجزائر ومنظمة التحرير الفلسطينية، في هذه الأجواء كان قد مر على اختفاء مؤسس حركة أمل السيد موسى الصدر خلال زيارته لليبيا أشهر عدة. وعلى الرغم من أن قادة أمل أوصلوا للإيرانيين رسائل مباشرة حول توقعاتهم بأن تؤدي طهران دورًا لفك أسر الصدر أو إنقاذه في ليبيا، لكن إيران الثورة لم تفعل هذا.

استراحت إيران الثورة لموقف ليبيا ومنظمة التحرير وسورية والجزائر. وبعد تغييب الصدر لم تستطع حركة أمل أن تتجرع هذا المر، ولكنها لم تعمل على قطع علاقتها بإيران والثورة، وزار وفد منها مع وفد المجلس الشيعي برئاسة الشيخ محمد مهدي شمس الدين إيران، وسجل اعتراضه على علاقة إيران بليبيا، حيث مال بعض الشيعة إلى اعتبار إيران راضية أو مشاركة فيما حصل للصدر، ومالت حركة أمل ومؤيدوها في إيران إلى التنديد بالحضور الليبي وبالمجموعة الإيرانية التي بنت علاقة مبكرة مع النظام الليبي قبل نجاح الثورة.

عاملان أساسيان صاغا العلاقة بين أمل وإيران بعد انتصار الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م، وهما: الإحباط الأول داخل أمل من طريقة تعامل إيران مع قضية اختفاء موسى الصدر، فقد توقعت أمل أن تعمل إيران على إنقاذ الصدر وإعادته من ليبيا إلى لبنان، وهو ما لم يحدث. أما الإحباط الثاني، فكان وقوف إيران إلى جانب التنظيمات الفلسطينية في لبنان على حساب أمل، التي كانت تحمل لواء مد السيادة اللبنانية على كامل الأراضي اللبنانية خلال المواجهات المسلحة بين الفصائل الفلسطينية وحركة أمل.

مع مرور الوقت بدأت الخلافات السياسية والثقافية تظهر بين حركة أمل والنظام الإسلامي الجديد في طهران، وهنا أدركت إيران أن أمل لن تكون أداة مناسبة في مشروعها.

ولذلك وقفت حركة أمل والطائفة الشيعية في وجه المشروع الإيراني، وهنا أدركت إيران أن حركة أمل لا يمكن أن تكون أداة لها في مشروع تصدير الثورة خارج إيران.

وبعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م والدور الذي قام به الحرس الثوري الإيراني مع عناصر لبنانية قام بتدريبها، بدأت ملامح أخرى لمشروع المقاومة المفترض تتشكل تدريجيًّا على أرض الواقع. لم تظهر ملامح مشروع المقاومة المفترض هذا فقط بفعل الدور الذي أدته إيران، بل أيضًا لأن حركة أمل لم تبلور مشروعاً سياسيًّا دينيًّا، وهنا بدأ التفكير في بديل تحت عنوان (حزب الله)، ودعم هذا أن قيادات من داخل حركة أمل مثل عباس الموسوي وصبحي الطفيلي وعلماء الدين داخل الحركة وناشطين آخرين مالوا مع المد الإيراني ورأوا ضرورة إنشاء مشروع حزبي ديني سياسي وحتى مسلح.

شاركت إيران مباشرة في صد العدوان الإسرائيلي من خلال الحرس الثوري وحركة التطوع الإيراني التي سجلت خلال أسبوع عددًا تجاوز مئات الآلاف، وبسبب عدم ارتياح الخميني لإرسال المزيد من قوات الحرس الثوري إلى لبنان، وشعوره أن تكلفة هذا قد تكون باهظة، خصوصًا بسبب انشغال إيران بالحرب مع العراق، ظهرت الحاجة لخيارات أخرى تتبعها إيران غير الاستمرار في إرسال قوات الحرس الثوري، أي البحث عن صيغة مشاركة أخرى.

وتوافق ذلك مع رغبة بعض اللبنانيين الموجودين في طهران في تأسيس حالة مقاومة ضد العدو الصهيوني بمساعدة إيرانية. في هذه الأجواء وفي شتاء عام ١٩٨٣م تأسس (حزب الله)[١].

يكشف السفير الإيراني السابق في دمشق والأب الميداني لـ «حزب الله» محمد حسن أختري، عن أن آية الله الخميني، أمر بإرسال عناصر من الحرس الثوري الإيراني إلى لبنان، لبناء (حزب الله) عسكريًّا لمواجهة إسرائيل، بعد الهجوم الإسرائيلي على لبنان، وأن قوات الحرس الثوري بقيت في لبنان سنوات، وكانت مهمتها الأساسية هي التدريب وإعطاء التعليمات الخاصة.

وأوضح أختري أن الدعم المالي الإيراني كان موجودًا، وكان الدعم المعنوي موجوداً أيضاً. ويضيف أختري: وبالنسبة إلى فضائية (المنار) فقد كانت هناك صعوبات على حسب النظام اللبناني في تأسيس مثل هذه القناة. وقال أختري: نحن تدخلنا في ذلك الوقت، ومع سورية، سورية لها اليد الطولي في هذا الموضوع، ثم أيد المرحوم رفيق الحريري هذه الفكرة، وساعد على إنشاء القناة. جميعنا ساعدهم، وتأسست القناة والحمد الله[٢].

الهدف الإستراتيجي لإيران من وراء إنشاء «حزب الله» ليس محاربة الكيان اليهودي ولا تحرير فلسطين ولا نصرة المحرومين والمستضعفين من المسلمين ولا الجهاد في سبيل الله، وإنما تحويل الطائفة الشيعية في لبنان من أضعف طائفة سياسيًّا واقتصاديًّا وعسكريًّا إلى أقوى طائفة سياسيًّا واقتصاديًّا وعسكريًّا. وهذا ما تؤكده كل القرائن والأدلة والمعطيات.

فمن أجل تحقيق هذا الهدف الإستراتيجي وتبرير الدعم المادي الإيراني الهائل لهذا الحزب كان لا بد من هدف تكتيكي مرحلي دعائي من أجل التغطية على هذا الهدف الإستراتيجي الأساسي، فكان الهدف التكتيكي هو مقاومة الكيان اليهودي وتحرير جنوب لبنان، فمن ذا الذي يجرؤ على التشكيك فيمن يعلن أن هدفه هو مقاومة العدو المحتل؟

خلف هذا الغطاء قدمت إيران لهذا المشروع الطائفي الدعم المالي الهائل الذي كان يستخدم في إنشاء جيش مسلح ومدرب على أعلى مستوى (ويتفوق على تسليح وتدريب الجيش اللبناني)، وفي إقامة مشروعات إجتماعية واقتصادية ودينية وإعلامية ضخمة ذات طابع شيعي واضح.

ومما عزز وسهل نشوء قوة هذا الحزب الشيعي بهذا الشكل هو سيطرة النظام السوري على لبنان، فمن أجل أن تفرض سورية سيطرتها على لبنان كان هناك قرار سوري - غير بعيد عن الدعم الأمريكي - بألا يكون هناك أي ميليشيا مسلحة تابعة لأي طائفة في لبنان، فتم نزع سلاح جميع ميليشيات الطوائف اللبنانية بموجب (اتفاق الطائف) الموقع بين الطوائف اللبنانية المختلفة والحكومة اللبنانية وبرعاية أمريكا والسعودية وسورية، أما الميليشيا الشيعية (حزب الله) فلم يطبق عليها هذا الاتفاق، وذلك تحت حجة أن هذا الحزب ليس بميليشيا، وإنما هو مقاومة يعمل على تحرير جنوب لبنان، وبالفعل استفرد هذا الحزب بالسلاح وبحرية الحركة، فنما وترعرع تحت الرعاية السورية وغض الطرف الأمريكي حتى استطاع بالفعل أن يجعل من الطائفة الشيعية في لبنان أقوى طائفة سياسيًّا واقتصاديًّا وعسكريًّا، فأصبح دولة داخل الدولة له علم خاص، ويرفع صور الزعيم الإيراني (الخميني) في

مقاره الرسمية وفي الشوارع وكذلك صور خليفة الخميني (خامنئي)، ما يؤكد أنه مشروع إيراني.

وما يؤكد أن أمريكا كانت تغض الطرف عن هذا الحزب أنه وقع مع الكيان اليهودي عام ١٩٩٦م ما عُرف بـ(تفاهمات نيسان) برعاية أمريكية وفرنسية وسورية وألمانية، وهذه التفاهمات تجاوزت الدولة اللبنانية واعتبرت (حزب الله) هو الذي يمثل الطرف اللبناني، واعترفت الأطراف الموقعة على هذه التفاهمات وفي مقدمتها الكيان اليهودي وأمريكا بأن (حزب الله) الشيعي حركة مقاومة للاحتلال في جنوب لبنان، وأن يكون نشاطه العسكري محصورًا في الجنوب، ولا يحق له أن يقوم بأي عمل عسكري ضد الصهاينة في فلسطين المغتصبة عام ١٩٤٨م أي فيما وراء الحدود اللبنانية.

وبالفعل التزم هذا الحزب بهذه التفاهمات، التي يُفهم منها أن هذا الحزب اعترف عمليًّا بأن فلسطين ليست أرضاً مغتصبة، وأقر أيضاً بأنه لا يسعى ولا يهدف وليس من إستراتيجيته تحرير فلسطين ولا مقاومة الكيان الصهيوني الغاصب لفلسطين، كما يدعي.

وكانت أمريكا لديها قرار - بغير رغبة بني صهيون - بربط المسارين اللبناني والسوري بمسار واحد، وأن يكون الانسحاب الصهيوني من جنوب لبنان بموجب اتفاقية سلام توقع من الحكومة اللبنانية والسورية، فربطت هذين المسارين بهذه التفاهمات، وبالفعل صار الوزراء والساسة اللبنانيون والسوريون يتحدثون عن وحدة المسارين، وهذا ما يوضح لماذا رفضت أمريكا اتفاق ١٧أيار عام ١٩٨٣م الشهير الموقع بين الكيان اليهودي والحكومة اللبنانية، وعملت على إسقاطه؛ لأنه تم دون علمها ومن وراء ظهرها، ولم

يحصل على موافقتها، ومن أجل أن يتهرب هذا الكيان من وحدة المسارين، وما قد يترتب عليه من استحقاقات سياسية وتنازلات قد تجبره أمريكا على دفعها، وهو لا يرغب في دفعها أو تقديمها، وفي مقدمتها ما يتعلق بحل قضية اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، التي تمنع التركيبة الطائفية في لبنان من توطينهم فيه.

فخشي هذا الكيان الغاصب من أن تضغط عليه أمريكا في يوم من الأيام، فتجبره على تنفيذ حق العودة، ومن أجل أن يتملص من هذا الذي فرض عليه قام عام ٢٠٠٠م وبتصرف أحادي الجانب بالانسحاب المفاجئ من جنوب لبنان، وقد احتجت سورية على هذا الانسحاب ورفضته؛ لأنه تم من طرف واحد، وصرح وزير الخارجية السوري فاروق الشرع في ذلك الوقت بأن هذا الانسحاب لا يجوز، وكذلك قال وزير خارجية لبنان، ورفضت الحكومتان السورية واللبنانية تلك الخطوة.

وأمريكا فوجئت بهذا الانسحاب، فطلبت من الحكومة اللبنانية ألا ترسل جيشها إلى الجنوب والتموضع على الحدود، وبالفعل لم ترسل الحكومة اللبنانية جيشها إلى الجنوب بحجة أن هذا الانسحاب يجب أن يتم بموجب اتفاقية تسوي جميع المسائل الحدودية والسياسية والقضايا المختلفة التي يجب حلها بموجب اتفاقية سلام، وبدلاً من الجيش اللبناني الرسمي سُمح لميليشيا الحزب بالدخول إلى الجنوب والسيطرة عليه والوجود على الحدود الدولية بين فلسطين المغتصبة ولبنان، ونتيجة لذلك نُسب هذا الانتصار لـ «حزب الله»، وأنه هو الذي حرر الجنوب، فصار هذا الحزب وقائده رمزاً للانتصار والتحرر حتى إن جميع السياسيين اللبنانيين من جميع الطوائف الخائفين

من الأجهزة الأمنية السورية القابضة على لبنان أخذوا ينافقون زعيم هذا الحزب المقرب من النظام السوري، ويتسابقون على حضور مناسباته وفي مقدمتها الاحتفال بمناسبة تحرير الجنوب[٣].

إن معظم العمليات النوعية قبل انسحاب الكيان الصهيوني من جنوب لبنان، قام بها شباب فلسطينيون من تنظيم الجبهة الشعبية القيادة العامة بزعامة أحمد جبريل، حيث قدم هذا التنظيم ٧٥٠ شهيداً من مجموع ١٥٠٠ أعلن عنهم الحزب، دون أن يذكر دور هؤلاء المقاتلين الفلسطينيين ولو بالإشارة في يوم من الأيام، فالحزب قد استغل تعطش هؤلاء الشباب لقتال عدوهم - والمغلقة في وجوههم الحدود العربية - حتى يبني أمجادًا على جماجمهم.

وما إن جاء عام ٢٠٠٠م حتى حصل انقلاب في السياسة الأمريكية تجاه المنطقة، حيث تغيرت مواقف أمريكا وسياستها وتعاملها مع كثير من الأنظمة والقضايا والملفات في منطقتنا، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية واللبنانية، وذلك نتيجة فوز ما عُرف بالمحافظين الجدد بالانتخابات الأمريكية بزعامة بوش الابن، الذي يحيط به مجموعة أو عصابة من المتعصبين دينيًّا، وسيطر هؤلاء على سياسة أمريكا الخارجية وعلى وزارة الدفاع، فكانت لديهم سياسة جديدة وهي تجديد وتغيير جميع عملاء أمريكا في المنطقة، وبدؤوا يُعلنون عن سياسة الإصلاحات السياسية في العالم العربي وتشجيع الديمقراطية، التي تستهدف تغيير أنظمة الحكم في المنطقة التي عفا عليها الزمن واستهلكت واعتلاها الصدأ، لتحل محلها أنظمة جديدة تتوافق ومزاج عصابة البنتاجون وسياستهم الجديدة.

فقامت هذه الإدارة الأمريكية الجديدة بسحب الملف اللبناني من يد النظام السوري الذي وكلته به، وأخذت تطالب النظام السوري بسحب قواته التي دخلت لبنان بطلب منها عام ١٩٧٦م، ولكن النظام السوري أخذ يُماطل ويتلكأ بالاستجابة لهذا الطلب لعل وعسى أن تغير الولايات المتحدة الأمريكية رأيها، فلم يقرأ هذا النظام جيداً التغيير الجذري الذي حصل في السياسة الأمريكية منذ مجيء المحافظين الجدد للسلطة في الولايات المتحدة الأمريكية، وأمام هذه المماطلة والتلكؤ قامت الولايات المتحدة الأمريكية باستصدار قرار من مجلس الأمن رقم ١٥٥٩ لعام ٢٠٠٤م ينص على سحب جميع القوات الأجنبية وغير اللبنانية من الأراضي اللبنانية وبنزع سلاح جميع الأحزاب والمليشيات والمنظمات اللبنانية وغير اللبنانية، وعلى الرغم من ذلك فإن النظام السوري لم يستجب فوراً لهذا القرار وكذلك الحزب، إلى أن جاء عام ٢٠٠٥م وفي ١٤ شباط حيث تم اغتيال رفيق الحريري رئيس وزراء لبنان السني، الذي اتهم بأنه الذي كان وراء استصدار هذا القرار.

فكان اغتيال رفيق الحريري بمنزلة القشة التي قسمت ظهر البعير، حيث قامت الولايات المتحدة الأمريكية بالطلب من النظام السوري بسحب قواته فوراً من لبنان وبحد أقصاه تاريخ ٢٠٠٥/٤/٨م، وإلا فإنها ستتخذ الإجراء المناسب لإجباره على ذلك، فقامت سورية بالاستجابة لهذا التهديد فوراً، وبذلك انتهى الدور السوري في لبنان الذي استمر تقريباً مدة ثلاثين عاماً.

وبانتهاء هذا الدور تم تنفيذ الشق الأول من قرار ١٥٥٩ وتبقّى الشق الثاني، وهو نزع سلاح الحزب، ولكن هذا الحزب رفض هذا القرار وأخذ يتحدى كل من يُحاول أن ينزع سلاحه، مبرراً أن هذا السلاح هو سلاح مقاومة، وأن

المقاومة مستمرة، وأن هناك جزءاً من الأراضي اللبنانية ما زال مُحتلاً، وهذا الجزء هو مزارع شبعا التي هي في الأساس أراضٍ سورية احتلت من سورية عام ١٩٦٧م، ولكن سورية بعد انسحابها من لبنان عام ٢٠٠٥م تنازلت عنها إلى لبنان.

وكان هذا الحزب: من حين إلى آخر يقوم بعملية عسكرية ضد جنود الكيان الصهيوني حتى يُقال: إنه لا يزال يُقاوم، فيبرر احتفاظه بسلاحه، وبعد كل عملية كان الصهاينة يقومون بعملية رد محدودة لا تتعدى القصف المدفعي لبعض قرى الجنوب اللبناني، ومن ثَم ينتهي الأمر إلى هذا الحد.

ولكن في العملية التي قام بها (حزب الله) في ٢٠٠٦/٧/١٢م فوجئ بحجم الرد وبأسلوبه، حيث قامت أمريكا بفك الكيان اليهودي من عقاله، فقام بشن هجوم جوي وبري وبحري وبجميع صنوف الأسلحة على مجمل مساحة لبنان، الذي حوله إلى ميدان للرماية، فقام باستهداف البنية التحتية للدولة اللبنانية وأخذ يقتل ويُدمر على مدى أكثر من ثلاثين يوماً، وكان ذلك بضوء واضح وعلني من الولايات المتحدة الأمريكية التي لا تقبل أن يكون هناك أي قوة لها أنياب حول الكيان الصهيوني مهما كانت هذه القوه موالية لها، وكان هناك أيضاً تأييد علني من بعض الأنظمة العربية، وأبدى (حزب الله) دفاعاً شرساً عن النفس؛ لأنه أصبح على قناعة بأن هذه معركته الأخيرة، وأن رأسه بات مطلوبًا، وأن دوره الذي أُقر في تفاهمات نيسان يجب أن ينتهي.

فأصدر مجلس الأمن قرار ١٧٠١ والذي يتضمن شروطاً معظمها في مصلحة الكيان الصهيوني، وهو أشبه ما يكون بوثيقة استسلام وقبلها الحزب مبدياً بعض التحفظ على بعض النقاط، وذلك من باب التغطية على

القبول بهذا القرار المُذل الذي ينص على وجوب تنفيذ قرار ١٥٥٩، والذي يتمحور حول تسليم الحزب لسلاحه وانسحابه من الجنوب اللبناني، وتسليم الجنديين الأسيرين دون قيد أو شرط، وإرسال قوات دولية لحماية الكيان الصهيوني، بل إن أمين عام الحزب فوض الحكومة اللبنانية بأن تأخذ الموقف المناسب، ولن يقف عائقاً في وجهها.

وما يؤكد موقف إيران المذهبي أنه عندما ارتكبت حركة أمل الشيعية أبشع المجازر ضد الشعب الفلسطيني في مخيمات بيروت في (صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة)، بتطويقها مخيمات بيروت الواقعة في الضاحية الجنوبية وقصفها بجميع أنواع الأسلحة مدة ثلاث سنوات من ١٩٨٤م إلى ١٩٨٧م، ومن شدة هذا الحصار الإجرامي اضطر الفلسطينيون إلى أن يأكلوا القطط والفئران والجيف وأن يشربوا أبوالها، وعلى الرغم من وجود قوات (حزب الله) بجوار هذه المخيمات في الضاحية الجنوبية لكنها لم تحرك ساكنًا أو تتدخل لوقف المجازر أو إرسال الطعام والشراب لهم، بل كانت متواطئة مع هذا الإجرام بالتزامها الصمت. عندئذ ذهب الشيخ أسعد بيوض التميمي يرافقه غازي الحسيني ابن الشهيد عبد القادر الحسيني إلى إيران (عام ١٩٨٦م) من أجل أن يطلُب من الخميني أن يتدخل لوقف المجازر التي يرتكبها الشيعة في لبنان ضد الشعب الفلسطيني وبإصدار فتوى تحرم قتل الفلسطينيين، ولكن الخميني رفض.

وما يؤكد أن (حزب الله) لا يهمه الشعب الفلسطيني ولا قضيته، أنه رشح على قائمة حزبه لثلاث دورات برلمانية متتالية (إيلي حبيقة) بطل مجازر صبرا وشاتيلا، الذي قاد قوات الكتائب المارونية الصليبية التي دخلت هذين

المخيمين بعد أن خرج المقاتلون الفلسطينيون منها عام ١٩٨٢م، فقتلت الأطفال والنساء والشيوخ بمنتهى الخسة والنذالة والجبن، مكافأة له على جريمته هذه ضد الشعب الفلسطيني التي تُعدّ من أبشع مجازر التاريخ.

وكان أمين عام الحزب حسن نصر الله من أول المؤيدين للاحتلال الأمريكي للعراق معتبراً إياه تحريراً للعراق من أهل السنة، وقد هاجم المجاهدين السنة في العراق في أكثر من خطاب، قائلاً عنهم: إنهم خونة وعملاء وتكفيريون وصداميون بحجة أنهم يقتلون أفراد الشرطة العراقية والجيش العراقي اللذين صنعتهما أمريكا ليكونا لها مخالب قط وأداة لذبح المجاهدين من أهل السنة والجماعة.

(حزب الله) يتحرك بحسب الرؤية المذهبية الشيعية الضيقة وبحسب الدور المحدد له من إيران، ولذلك فلم يكن غريباً أن يقوم هذا الحزب بتدريب الميليشيات الشيعية في العراق التي صنعتها إيران لتكون عوناً للأمريكان في فرض سيطرتهم على العراق وفي مقدمتها ميليشيا ما يُسمى (جيش المهدي) و(ميليشيا بدر) وغيرها من الميليشيات التي تذبح عُلماء السنة، وتهدم مساجدهم، وتخطف أبناء الشعب الفلسطيني اللاجئين في العراق منذ عام ١٩٤٨م وتعذبهم قبل أن تقتلهم بأشد الأساليب إجراماً، وتعتدي على شرفهم وأعراضهم، وتُهددهم كل يوم بالقتل والذبح إذا لم يرحلوا من العراق، وقد أكدت هيئة علماء المسلمين في العراق أن الميليشيات العراقية الشيعية المدعومة من إيران قتلت أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ ألف سني في العراق.

فهذا الحزب هو صناعة إيرانية ومشروع إيراني كالمشروعات الإيرانية في العراق التي تستهدف أهل السنة وإقامة دولة صفوية، فهو يحمل نفس

عقيدة هذه الدولة الصفوية الفارسية وميليشياتها التي تعيث في أرض العراق فساداً، والتي أصبح يُطلق عليها فرق الموت السوداء، والتي تقول: إن القرآن مُحرف والتي تلعن أبا بكر وعمر وعثمان[٤].

وعلى الرغم مما يؤكده قادة الحزب بأنه لبناني ونشأ لبنانيًّا، لكن المعطيات تؤكد أن إيران أدت دوراً أساسيًّا في ولادته ونشأته ونموه كما أوضحنا، وتصريحات قادة الحزب وميثاق الحزب تؤكد دوماً التبعية للثورة الإيرانية ومرشدها، وصور قادة إيران وعلمها تسيطر على مرافق الحزب وفعالياته.

وتتميز العلاقة بين (حزب الله) وإيران بتداخل البعدين السياسي والديني فيها، فاللبنانيون الشيعة الذين يمثلون كوادر (حزب الله) تربطهم بالمرجعيات الدينية الإيرانية روابط روحية عميقة، ويُعدّ مرشد الثورة الإيرانية أكبر مرجعية دينية بالنسبة إليهم، ويسمى أمين عام (حزب الله) حسن نصر الله الوكيل الشرعي لآية الله خامئني.

يقول حسن نصر الله: (إننا نرى في إيران الدولة التي تحكم بالإسلام، والدولة التي تناصر المسلمين والعرب وعلاقتنا بالنظام علاقة تعاون، ولنا صداقات مع أركانه، ونتواصل معه، وإن المرجعية الدينية هناك تشكل الغطاء الديني والشرعي لكفاحنا ونضالنا)[٥].

ويقول إبراهيم الأمين الناطق باسم حزب الله: (نحن لا نقول: إننا جزء من إيران؛ نحن إيران في لبنان ولبنان في إيران)[٦].

ويقول حسن سرور أحد قادة الحزب: (نعلن للعالم أجمع أن إيران هي أُمُّنا وديننا وكعبتنا وشرايينا)، ويزيد عباس موسوي: (كلنا إخوة ونقاتل

من أجل القضية نفسها، وكل من يحاول التفرقة بينا وبين إخوتنا الإيرانيين أو بين المسلمين عموماً فإنه يرتكب جريمة). وفي ذكرى أسبوع أحد موظفي السفارة الإيرانية ببيروت (مصطفى توراني) قال الشيخ حسن طراد إمام جمعية مسجد الإمام المهدي بالغبيري: (إن إيران ولبنان شعب واحد وبلد واحد، وكما قال أحد العلماء الأعلام: إننا سندعم لبنان كما ندعم مقاطعتنا الإيرانية سياسيًّا وعسكريًّا)[٧].

وقد جاء في بيان صادر عن الحزب في ١٦ فبراير ١٩٨٥م أن الحزب (ملتزم بأوامر قيادة حكيمة وعادلة تتجسد في ولاية الفقيه، وتتجسد في روح الله آية الله الموسوي الخميني مفجر ثورة المسلمين وباعث نهضتهم المجيدة). ويقول هاشمي رفسنجاني الرئيس الإيراني السابق، ورئيس مجمع تشخيص النظام، والرجل القوي في إيران: (تعتقد إيران أن مساعدتها لـ(حزب الله) في لبنان واجب مذهبي وثوري وأنها سوف تستمر في دعمه طالما ظلت أراضيه محتلة أو مهددة، وأنها مع تقديرها للمواقف الشجاعة لشعب لبنان وحكومته في دعم جبهة المقاومة أمام محاولات التوسع للنظام الصهيوني تؤكد استمرار دعم إيران للمقاومة الشعبية في لبنان)[٨].

الدعم المادي والعسكري والسياسي والإعلامي الإيراني لـ(حزب الله) واضح لا لبس فيه، وإن كان يصعب تحديد حجمه، وهناك جهات إيرانية عدة تعمل في (حزب الله): حراس الثورة، وزارة الخارجية، مؤسسة الشهيد، وزارة الإرشاد الإسلامي، وزارة الداخلية، الأجهزة الأمنية الاستخباراتية.

وبشكل عام نستطيع أن نلخص الدلائل على الدور الإيراني في نشأة (حزب الله) فيما يأتي:

(١) نشأ (حزب الله) في إيران بتأثير ولاية الخميني على الشيعة كافة، يقول نائب الأمين العام لـ(حزب الله) نعيم قاسم: (كان هناك مجموعة من المؤمنين... تفتحت أذهانهم على قاعدة عملية تركز على مسألة الولي الفقيه والانقياد له بوصفه قائداً للأمة الإسلامية جمعاء، لا يفصل بين مجموعاتها وبلدانها أي فاصل،... وذهبت هذه المجموعة المؤلفة من تسعة أشخاص إلى إيران ولقاء الإمام الخميني، وعرضت عليه وجهة نظرها في تأسيس وتكوين الحزب اللبناني، فأيد هذا الأمر وبارك هذه الخطوات)[٩].

(٢) ذكرت مجلة الشراع بتاريخ ١٤/٨/١٩٩٥م (د. غسان عزي، ص: ٣٤) نقلاً عن (حزب الله) وجود عضوين إيرانيين في قيادة الحزب.

(٣) حسن نصر الله يشغل منصب الوكيل الشرعي لمرشد إيران الأعلى علي خامنئي، وقد نشرت له صور عدة يقبل فيها يد خامنئي، وقد تساءل البعض: ماذا لو تنازعت لبنان مع إيران؟ فلمن سيكون ولاء نصر الله ومن ورائه الحزب والطائفة؟

(٤) سبق في تاريخ (أمل) و(حزب الله) التحاكم إلى القيادة الإيرانية عند الاختلاف فيما بينهما[١٠].

(٥) أعلنت حركة أمل في المؤتمر الرابع في آذار ١٩٨٢م أنها جزء لا يتجزأ من الثورة الإسلامية في إيران[١١].

(٦) بسبب تبعية (حزب الله) لولاية الفقيه، يقرر الباحث الإيراني د. مسعود أسد الله في كتابه (الإسلاميون في مجتمع تعددي، صفحة ٣٢١) ما يأتي: «بما أن حاكمية الخميني كولي فقيه لا تنحصر

بأرض أو حدود معينة فإن أي حدود مصطنعة وغير طبيعية تمنع عمل هذه الولاية، تعد غير شرعية، لذا فإن (حزب الله) في لبنان يعمل كفرع من فروع (حزب الله) الواسعة الانتشار... الآراء المذكورة آنفًا توضح أن (حزب الله) كان مستعداً لإنجاز أي مهمة يأمر بها الولي الفقيه».

وقد كلف (حزب الله) إيران الكثير من الجهد والمال، غير أن إيران استفادت منه كثيرًا، فهي من جهة تمكنت عبره من تحسين شعبيتها أمام المجتمع السني خاصة بعد أن ساءت صورتها كثيراً خلال حربها الطويلة مع العراق، كما ساءت صورة الشيعة بشكل عام بعدما اتضح للجميع الجرائم التي يقترفها الشيعة ضد أهل السنة في العراق، لذلك كان (حزب الله) هو المنقذ الذي عمل على إظهار إيران بمظهر البلد الذي يواجه إسرائيل والولايات المتحدة.

ومن جهة ثانية؛ يخدم الدعم الإيراني لـ (حزب الله) المشروع الشيعي في الأساس الذي يحلم باستعادة إمبراطورية فارس. وهو أمر يقر به أحد قادة (حزب الله) في لبنان، وهو إبراهيم الأمين حيث يقول: (إن تصدير الثورة لا يعني تسلط النظام الإيراني على شعوب منطقة الشرق الأوسط، وإنما المفروض أن تعيش هذه المنطقة الإسلام من جديد - والإسلام الذي يقصده هو الإسلام الشيعي - على هذا الأساس نحن نعمل في لبنان من خلال المسؤولية الشرعية ومن خلال القناعة السياسية أيضًا، حتى يصبح لبنان جزءًا من مشروع الأمة - الأمة الشيعية بالطبع - في منطقة الشرق الأوسط، ولا نعتقد أنه من الطبيعي أن يكون لبنان دولة إسلامية خارج مشروع الأمة.

ومن جهة ثالثة؛ يمثل (حزب الله) ورقة رابحة بيد إيران تستطيع أن تستخدمها وقتما تشاء في الضغط على أمريكا وإسرائيل لتحقيق مآربها[١٢].

الهوامش:

(١) منال لطفي، ولادة حزب الله.. على أنقاض أمل، صحيفة الشرق الأوسط، ١٧ مايو ٢٠٠٨م.

(٢) منال لطفي، محمد حسن أختري: ساعدنا على تصحيح صورة حزب الله.. وتعاونا مع سورية لإنشاء قناة المنار، صحيفة الشرق الأوسط، ١٥ مايو ٢٠٠٨م.

(٣) محمد أسعد بيوض التميمي، ماذا يجري في لبنان؟ هل هو مشروع إيراني شيعي مذهبي صفوي أم حزب الله؟ مفكرة الإسلام، ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٦م.

(٤) المرجع السابق.

(٥) مجلة المقاومة، العدد ٢٧، صفحة ١٥، ١٦.

(٦) صحيفة النهار، ٥-٣-١٩٨٧م.

(٧) جريدة النهار، ١١-١٢-١٩٨٦، صفحة ٥.

(٨) مجلة مختارات إيرانية، العدد ٧٣، صفحة ٣٧.

(٩) أمين مصطفى، دار الهادي، صفحة ٤٢٥.

(١٠) وضاح شرارة، دولة حزب الله، صفخة ١١٩.

(١١) المرجع السابق.

(١٢) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام على الإنترنت.

الفصل السابع

(الحوثيون) في اليمن.. خنجر مسموم

الفصل السابع

(الحوثيون) في اليمن.. خنجر مسموم

لمعرفة حجم التغلغل الإيراني في اليمن تحت مظلة الحوثيين، يجب أن نتعرف أولاً على كيفية نشأة هذه الجماعة ومراحل تطورها.

تعود جذور حركة الحوثي إلى الثمانينيات من القرن الماضي، وبدأ أول تحرك عام ١٩٨٢م علي يد العلامة صلاح أحمد فليتة، الذي أنشأ عام ١٩٨٦م (اتحاد الشباب) وكان من ضمن ما يتم تدريسه مادة عن الثورة الإيرانية ومبادئها يقوم بتدريسها محمد بدر الدين الحوثي. وعام ١٩٨٨م تجدد النشاط عن طريق بعض الرموز الملكية التي نزحت إلى المملكة العربية السعودية عقب ثورة ١٩٦٢م وعادوا بعد ذلك، وكان من أبرزهم مجد الدين المؤيدي وبدر الدين الحوثي.

مع قيام الجمهورية اليمنية في ٢٢ مايو ١٩٩٠م تحولت هذه الأنشطة إلى مشروع سياسي، تزامناً مع المناخ السياسي الجديد الذي أقر التعددية، فقد أعلن قيام ما يزيد على ٦٠ حزباً في اليمن يمثلون جميع التوجهات القومية

واليسارية والإسلامية والليبرالية، فيما تمثلت الأحزاب الشيعية في حزب الثورة الإسلامية، حزب الله، حزب الحق، اتحاد القوى الشعبية اليمنية. وقد توارى الحزبان الأولان (حزب الثورة، وحزب الله)، فيما بقي في الساحة حزب الحق واتحاد القوى الشعبية.

أبدى حسين بدر الدين الحوثي اهتمامًا كبيرًا بتنظيم «الشباب المؤمن» وتفرغ له عازفًا عن الترشح في مجلس النواب، تاركًا المقعد الذي كان يشغله لأخيه يحيى بدر الدين الحوثي.

كان تنظيم الشباب المؤمن هو التنظيم الذي علق حسين بدر الدين الحوثي آماله وطموحاته عليه، وسعى لتوفير دعم كبير له سواء عن طريق الدعم الإيراني أو الدعم الذي كان يصرف من قصر الرئاسة حينها. وكان حسين الحوثي عضواً في البرلمان اليمني في المدة ما بين ١٩٩٣م إلى عام ١٩٩٧م ممثلاً للمؤتمر الشعبي العام (الحزب الحاكم)، بعدها أخذ في بناء قاعدة لتأييده خاصة في مديرية (حيدان) دون ترخيص قانوني، أطلق عليها اسم الحوزة، وهي المدرسة التي انطلق منها لتغذية الطلاب بأفكار الثورة الإيرانية السياسية والمذهبية.

عام ١٩٩١م نشأ تنظيم (الشباب المؤمن)، بإيعاز من بدر الدين الحوثي بهدف جمع علماء المذهب الزيدي في صعدة وغيرها من مناطق اليمن تحت لوائه، ومن ثم دعم حزب (الحق) بوصفه يمثل المذهب الزيدي.

وبدر الدين بن أمير الدين الحوثية، من كبار علماء الشيعة، جارودي المذهب، يرفض الترضية على الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويهاجم الصحيحين والسنن في كثير من مؤلفاته، ويتهم الإمام البخاري

ومسلم بالتقول والكذب على رسول الله ﷺ إرضاءً للسلاطين؛ ومنه ورث ابنه حسين هذا المذهب، وسار عليه أنصارهم وأتباعهم.

وبدأ حسين الحوثي توسيع نشاطه خارج منطقة صعدة، ليؤسس مراكز مماثلة لمركزه في محافظات عدة[1].

لم تتوقف أنشطة الحوثي و(الشباب المؤمن) على إقامة المراكز العلمية (المسماة بالحوزات)، والمخيمات الصيفية، والندوات والمحاضرات والدروس؛ ونشر كثير من (الملازم) والكتب التي تروج لفكره، بل تجاوزها إلى تحريض أتباع المذهب الزيدي على اقتناء الأسلحة والذخيرة؛ تحسباً لمواجهة الأعداء من (الأمريكيين واليهود)، واقتطاع نسبة من الزكاة لمصلحة المدافعين عن شرف الإسلام والمذهب، عامداً إلى الدفع بشبابه (الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٥-٢٥ عاماً) لإظهار ثقله الديني والسياسي بالتظاهر في معظم المساجد وعقب صلوات الجمعة وترديد شعاراتهم ضد إسرائيل وأمريكا، وقد بلغ الأمر في إحدى المظاهرات إلى سقوط قتلى في أثناء مسيرة نظمها التنظيم في اتجاه السفارة الأمريكية إبان الحرب على العراق، عام ٢٠٠٣م.

وهنا كان على الدولة أن تتدخل، فبدأ الصدام بينها وبين أتباع الحوثي يأخذ طابع الاعتقال، وإغلاق المحالّ من مكتبات وتسجيلات شيعية، في حين بدأ حسين الحوثي في التحصن في جبال مران، حيث مسقط رأسه ومعقد الولاء المذهبي له، فأقام تحصينات خرسانية، وزود أتباعه بالسلاح والذخيرة، وبدأ بالتعبئة ضد أي عدوان أمريكي أو إسرائيلي، وأحاط نفسه بإجراءات أمنية صارمة؛ وبدا الأمر وكأنه استعداد لخوض مواجهة عسكرية مؤكدة، وليست محتملة.

طبيعة الدور الذي مارسه حسين الحوثي، قبل تطور الأحداث إلى مستوى المواجهات مع الدولة، دل على نيات فعلية لإظهار الحركة بوصفها سياسية مستقلة، كما هو الحال مع (حزب الله) في لبنان؛ خاصة بعد فشل حزب (الحق) وحزب (اتحاد القوى الشعبية) في أداء دور سياسي أو حركي بالمستوى الذي يأمله حسين الحوثي.

وبالفعل خاض حسين الحوثي حربًا شرسة ضد الدولة استمرت ثلاثة أشهر تقريباً. ولم يشأ الحوثي الاستسلام للدولة إلا وفق شروط ومطالب خاصة، ليس من أبرزها سحب الدولة لقواتها من المنطقة والإفراج غير المشروط عن أعضاء التنظيم، إلى آخر ما هناك من المطالب، لكنه لم يستطع تحقيق آماله، حيث استطاعت الدولة القضاء عليه في ١٠ سبتمبر ٢٠٠٤م، هو وعدد من أتباعه، لكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، فقد أعاد والده الكرة مرة أخرى.

لقد كان الاستخدام المفرط للعنف والسلاح تجاه الدولة والدخول معها في صراع دموي دليلاً على أن وراء الشعار المعلن بعد آخر خفي، فصعدة ظلت بعيدة عن أعمال العنف التي تطول الأجانب والمصالح الأمريكية في اليمن، على خلاف محافظات أخرى مثل مأرب، والجوف، وصنعاء، وحضرموت، وعدن.

وقد شكلت الأرضية المذهبية (الهادوية) في اليمن محضنًا خصبًا لأفكار الثورة الإيرانية، فكان التغلغل الشيعي خاصة بعد حرب الخليج الثانية وتدمير العراق، وبذلت الدبلوماسية الإيرانية والسفارة الإيرانية في صنعاء جهدًا مكثفًا لاستقطاب أتباع المذهب الزيدي منذ عام ١٩٩٠م، حيث توجهت الأنظار إلى اليمن بوصفه لاعباً إقليميًّا ناشئاً ومؤثراً[٢].

ومن بين الأفكار التي كان يعتنقها حسين الحوثي وأتباعه:

- على الأمة أن تكتفي بإمام يعلمها كل ما تحتاج إليه، فهي لا تحتاج إلى دراسة الكتاب والسنة.
- يكفي أن يكون للأمة إمام أو زعيم أو قائد أو قدوة، وقد كان يطلق على الحوثي (القدوة) إذ كان يركز في أدبياته على مسألة القدوة ووجوب اتباعها والأخذ برأيها.
- الحملة الشديدة على الصحابة الأبرار، لدرجة أن الحوثي حمل بعضهم فشل الأمة الإسلامية، لذا فإن السنة بحسب الحوثيين لا يعتمد عليها؛ لأنها جاءت من طرف صحابة رسول الله ﷺ.
- إيمانه بالمهدي في فكرته الشيعية، وإيمانه بضرورة التمهيد لعودة المهدي مع ما يصاحب ذلك من احتلال للحرمين الشريفين وتصفية أهل السنة والجماعة، والقضاء على الأنظمة السنية الحاكمة وعلى رأسها المملكة العربية السعودية.

من خلال هذه المبادئ والأفكار «الاثنا عشرية» التي يعتنقها تنظيم الحوثي وأتباعه وما يجري في اليمن من صراع بين هذا التنظيم والحكومة اليمنية أصبح من الواضح أن وراء هذه الأحداث جهات خارجية تريد تمرير مشروعها ليس في اليمن فحسب بل في المنطقة كلها.

لقد بدت ملامح السيناريو الإيراني تظهر للعلن مع بروز أفكار هذا التيار واشتداد المعارك بين الحكومة اليمنية وأتباع الحوثي. والمتتبع للأحداث لا

يجد كثير عناء في اكتشاف التواطؤ الإيراني ومحاولة زعزعة استقرار اليمن، خاصة بعد التضامن الذي أظهرته إيران اتجاه الحوثي وإتباعه، إذ صدر بيان من مجموعة من علماء الدين في إيران يحتجون فيه على ما أسموه المجازر التي ترتكب ضد الشيعة في اليمن، وطالب متظاهرون كانوا مجتمعين أمام السفارة اليمنية بطرد السفير اليمني من طهران وتغيير اسم الشارع الذي تقع فيه سفارة اليمن إلى اسم الحوثي.

إن التقسيمات العرقية داخل المجتمع اليمني وأهمها المجموعات الزيدية المبعثرة، مهدت الطريق لإيران لاختراقها، إذ أدخلت عليها مبادئ وأفكار «الاثنا عشرية» التي برز من خلالها تنظيم الشباب المؤمن بزعامة حسين الحوثي، واستغلت إيران هذا التنظيم وأعادت صياغته من خلال أفكارها وما يناسب توجهها التوسعي ومبادئها، الأمر الذي يفسر الزيارات المكوكية التي قام بها أفراد من الحوثيين إلى طهران عبر مراحل زمنية مختلفة بهدف التدريب والتنظيم، ناهيك عن الزيارات السرية لخبراء عسكريين إيرانيين بطرق سرية ليشرفوا بأنفسهم على عمليات التدريب في اليمن[٢].

صعدت إيران من حملاتها الهادفة إلى زعزعة المناطق المحيطة بالسعودية، حيث بدأت أجهزتها الإعلامية في بث رسائل تطالب بانفصال الجزء الجنوبي من اليمن، وبث موقع (العالم) الإيراني تقريرًا على لسان ما أسماه (هيئات الحراك الجنوبي والتجمع الديمقراطي الجنوبي)، طالب فيه (المواطنين الجنوبيين) في اليمن بالمشاركة بكثافة في التظاهرات التي نظمت في حضرموت، والتي تدعو إلى انفصال جنوب اليمن. وبثت قناة «العالم» الإخبارية التابعة للحكومة الإيرانية خطابات انفصالية لقيادات (الحراك

الجنوبي). ودعت طهران الشعب اليمني إلى الوقوف مع الحوثيين (والالتفاف حولهم ودعمهم بكل القوة) وقالت: (إنه يجب أن يتعامل المواطنون اليمنيون مع السعودية والرئيس على عبدالله صالح عكس ما يريدون تماماً).

وسبق الحملة الإعلامية الإيرانية، دعوات أصدرتها قيادات في تمرد الحوثي تزعم (أحقية أبناء صعدة في استعادة جبل العرو وإمارات جازان وعسير ونجران) من السعودية، مبررة ذلك بأنها (فروع يجب أن تعود إلى الأصل).

ووجهت صنعاء اتهامات مباشرة لإيران بدعم المتمردين الحوثيين في صعدة، وحاكمت عدداً من اليمنيين بتهمة التخابر مع طهران.

وبث التلفزيون السعودي اعترافات للقيادي في تنظيم (القاعدة) العوفي، كشف فيها عن علاقة الاستخبارات الإيرانية والمتمردين الحوثيين بالتنظيم واستعدادهم لمدِّهم بالمال والأسلحة اللازمة لتنفيذ عملياتهم.

والسؤال الذي ينبغي أن يشغلنا هو: كيف تمكّنت جماعة حديثة مثل هذه الجماعة أن تواجه الحكومة اليمنية طوال هذه المدة، خاصّة أنها تدعو إلى فكر شيعي «اثنا عشري»، وهو ليس فكراً سائداً في اليمن بشكل عام، ما يجعلنا نفترض أن أتباعه قلة؟

لذلك تبريرات كثيرة تنير لنا الطريق في فهم القضية، لعل من أبرزها ما يأتي:

أولاً: لا يمكن استيعاب أن جماعة قليلة في إحدى المحافظات اليمنية الصغيرة يمكن أن تصمد هذه المدة الطويلة دون مساعدة خارجية مستمرة،

وعند تحليل الوضع نجد أن الدولة الوحيدة التي تستفيد من ازدياد قوة التمرد الحوثي هي إيران، فهي دولة «اثنا عشرية» تجتهد بكل وسيلة لنشر مذهبها، وإذا استطاعت أن تدفع حركة الحوثيين إلى السيطرة على الحكم في اليمن، فإنّ هذا سيصبح نصرًا مجيدًا لها، خاصة أنها ستحاصر أحد أكبر المعاقل المناوئة لها وهي السعودية، فتصبح السعودية محاصَرة من شمالها في العراق، ومن شرقها في المنطقة الشرقية السعودية والكويت والبحرين، وكذلك من جنوبها في اليمن، وهذا سيعطي إيران أوراق ضغط هائلة، سواء في علاقتها مع العالم الإسلامي السُّني، أو في علاقتها مع أمريكا.

وليس هذا الفرض نظريًّا، إنما هو أمر واقعي له شواهد كثيرة، منها التحوُّل العجيب لبدر الدين الحوثي من الفكر الزيديّ المعتدل إلى الفكر «الاثنا عشري» المنحرف، مع أن البيئة اليمنية لم تشهد مثل هذا الفكر «الاثنا عشري» في كل مراحل تاريخها، وقد احتضنته إيران بقوّة، بل استضافته في طهران سنوات عدة، وقد وجد بدر الدين الحوثي فكرة «ولاية الفقيه» التي أتى بها الخوميني حلاً مناسباً للصعود إلى الحكم حتى لو لم يكن من نسل السيدة فاطمة رضي الله عنها، وهو ما ليس موجوداً في الفكر الزيدي.

ثانياً: من العوامل التي ساعدت على استمرار حركة الحوثيين في اليمن التعاطف الجماهيري النسبي من أهالي المنطقة مع حركة التمرد، حتى إن لم يميلوا إلى فكرهم المنحرف، وذلك للظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة جدًّا التي تعيشها المنطقة؛ فاليمن بشكل عام يعاني ضعفاً شديداً في بنيته التحتية، وحالة فقر مزمن تشمل معظم سكانه، لكن يبدو أن هذه المناطق تعاني أكثر من غيرها، وليس هناك اهتمام بها يوازي الاهتمام بالمدن اليمنية

الكبرى، ويؤكد هذا أن اتفاقية السلام التي توسّطت لعقدها دولة قطر سنة ٢٠٠٨م بين الحكومة اليمنية والحوثيين، كانت تنص على أن الحكومة اليمنية ستقوم بخطة لإعادة إعمار منطقة صعدة، وأن قطر ستموّل مشروعات الإعمار، لكن كل هذا توقف عند استمرار القتال، ولكن الشاهد من الموقف أن الشعوب التي تعيش حالة التهميش والإهمال قد تقوم للاعتراض والتمرد حتى مع أناسٍ لا يتفقون مع عقائدهم أو مبادئهم.

ثالثاً: ساعد على استمرار التمرد، الوضعُ القبلي الذي يهيمن على اليمن؛ فاليمن عبارة عن عشائر وقبائل، وهناك توازنات مهمّة بين القبائل المختلفة، وتشير مصادر عدة إلى أن المتمردين الحوثيين يتلقون دعمًا من قبائل كثيرة معارضة للنظام الحاكم؛ لوجود ثارات بينهم وبين هذا النظام، بصرف النظر عن الدين أو المذهب.

رابعاً: ومن العوامل المساعدة كذلك الطبيعة الجبلية لليمن، التي تجعل سيطرة الجيوش النظامية على الأوضاع أمرًا صعبًا؛ وذلك لتعذر حركة الجيوش، ولكثرة الخبايا والكهوف، ولعدم وجود دراسات علمية توضح الطرق في داخل هذه الجبال، ولا وجود للأدوات العلمية والأقمار الصناعية التي ترصد الحركة بشكل دقيق.

خامساً: ساهم في استمرار المشكلة انشغال الحكومة اليمنية في مسألة المناداة بانفصال اليمن الجنوبي عن اليمن الشمالي، وخروج مظاهرات تنادي بهذا الأمر، وظهور الرئيس اليمني الجنوبي الأسبق «علي سالم البيض» من مقره في ألمانيا، وهو ينادي بالأمر نفسه. هذا الوضع شتّت الحكومة اليمنية وجيشها ومخابراتها؛ ما أضعف قبضتها عن الحوثيين.

سادساً: هناك بعض التحليلات تفسِّر استمرار التمرد بأن الحكومة اليمنية نفسها تريد للموضوع أن يستمر، والسبب في ذلك أنها تعدّ وجود هذا التمرد ورقة ضغط قوية في يدها تحصِّل بها منافع دولية، وأهم هذه المنافع هي التعاون الأمريكي فيما يسمّى بالحرب ضد الإرهاب، حيث تشير أمريكا إلى وجود علاقة بين تنظيم القاعدة والحوثيين. وهذا احتمال بعيد جدًا؛ لكون المنهج الذي يتبعه تنظيم القاعدة مخالف كُلّية للمناهج «الاثنا عشرية»، ومع ذلك فأمريكا تريد أن تدس أنفها في كل بقاع العالم الإسلامي، وتتحجج بحججٍ مختلفة لتحقيق ما تريد، واليمن يريد أن يستفيد من هذه العلاقة في دعمه سياسيًّا واقتصاديًّا، أو على الأقل التغاضي عن فتح ملفات حقوق الإنسان والدكتاتورية، وغير ذلك من ملفات يسعى الغرب إلى فتحها.

الهدف الإستراتيجي للحوثيين، إذاً، ومن يقف وراءهم هو إقلاق المملكة العربية السعودية وزعزعة أمنها واستقرارها، فإيران تريد من صعدة قاعدة عسكرية لمواجهة السعودية والخليج بشكل عام، والحوثيون يريدون أقلمة قضية صعدة من خلال دخولهم في مواجهات مع القوات السعودية.

الحرب في صعدة ليست حرباً مذهبية، فالحوثيون خرجوا عن المذهب الزيدي، وهم الآن «اثنا عشرية»، وهذا الكلام ليس كلامنا، وإنما هو كلام علماء ومرجعيات المذهب الزيدي المعروفين داخل صعدة وخارجها، حتى إن مجد الدين المؤيدي - رحمه الله - وهو من كبار مراجع الزيدية في صعدة وعلى مستوى اليمن، حذر منهم في منتصف التسعينيات وأعلن براءة المذهب الزيدي من هؤلاء وما أتوا به، ومن لا يزال يعتقد أو يقول: إن الحوثيين يدافعون عن المذهب الزيدي، فهو إما حوثي أو مناصر لهم.

قضية التمرد الحوثي ليست وليدة ٢٠٠٤م، فهؤلاء ظلوا يتحينون الفرصة المناسبة ولا شك أنهم مطلع التسعينيات ومع قيام الوحدة استفادوا من المناخ الديمقراطي والتعددية في تجميع قواهم من مختلف النواحي، ولو عدنا إلى مطلع التسعينيات سنجد أنهم كانوا يتحالفون مع كل من يسعى إلى زعزعة الأمن والاستقرار، والكل يعرف موقف حسين الحوثي ووالده من حرب الانفصال صيف عام ١٩٩٤م[٤].

وقد كشفت مصادر الجيش اليمني أنه تم العثور على أسلحة إيرانية الصنع في ستة مخازن للحوثيين في منطقة (حرف سفيان) ومحافظة (صعدة) شمال اليمن. وجاء العثور على تلك المخازن بعد أن تمكنت قوات الجيش والأمن من إحكام سيطرتها على منطقة (حرف سفيان) بمحافظة (عمران)، وجيوب عناصر التمرد الحوثية في منطقة (المهاذر) و(الملاحيظ) وعدد من المناطق الأخرى بمحافظة (صعدة) التي كانت عناصر الحوثيين تتمركز فيها.

وكان عدد من المتمردين الحوثيين الذين خضعوا للمحاكمة قد اعترفوا أمام القضاء باستخدام الأسلحة الإيرانية في مواجهة الدولة، فيما كشف آخرون خلال تلك المحاكمات عن تقليدهم لأفلام عن الثورة الإيرانية خلال عمليات التخريب[٥].

في حوار صحفي نشرته صحيفة الجمهور الأهلية مع الشيخ عبدالله المحدون قائد التمرد الحوثي لخمس حروب في مديرية سحار قبل أن تعيده الحرب الخامسة إلى جادة الصواب كشف للصحيفة الآتي:

- أسلحة ثقيلة ومكائن تصنيع الألغام وإعادة تركيب الصواريخ وصلتنا من إيران، والمدربون عناصر في حزب الله.

- عبدالملك الحوثي مجرد واجهة وقيادات أخرى هي التي تدير التمرد.
- ٩٠٪ من عناصرنا قادمون من خارج «صعدة» ومن الحرب الخامسة بدأ التحالف مع الانفصاليين.
- اشترينا مساحات شاسعة في ميدي باسم أشخاص لإيجاد منفذ بحري.[٦]

ووجّه بشير عشق، المسؤول في التحالف الديمقراطي الإريتري، وأحد قادة المعارضة الإريترية اتهاماً لإيران باستخدام بلاده قاعدة لنقل السلاح إلى المتمردين الحوثيين في اليمن.

وقال عشق: (المتمردون الزيديون الحوثيون يتلقون أسلحتهم من إيران عبر إريتريا). وأضاف وفقاً لوكالة فرانس برس: (الأسلحة تصل إلى مدن ساحلية في إريتريا، ولا سيما مدينة (عصب)، ومن ثم يأتي المتمردون الحوثيون، وينقلون هذه الأسلحة ليلاً إلى اليمن)[٧].

ومن القرائن التي تؤكد وجود دعم إيراني للتمرد الحوثي أيضاً:

- العثور على وثائق في المستشفى الإيراني في العاصمة صنعاء تدل على تورطها في عمليات تجسس ودعم مالي وعسكري للحوثيين، ما أدى إلى إغلاقه من قبل الحكومة اليمنية.
- الدعم الإيراني لاضطرابات جنوب اليمن المتزامنة مع عدد من حروب الحوثيين من أجل إضعاف الحكومة اليمنية وتشتيتها.
- توسيع الحوثيين لمسرح العمليات؛ بغية الوصول إلى ساحل البحر الأحمر القريب من صعدة.

- طريقة الإيرانيين في التعامل مع الحوثيين هي نفس طريقة بناء منظمات (حزب الله) في لبنان وبناء التكوينات الشيعية في الكويت والبحرين، وغيرها من البلدان.

- تبني إيران ومنذ قيام الثورة مبدأ تصدير الثورة الشيعية إلى الوطن العربي والعالم الإسلامي، وبذل الدبلوماسية الإيرانية والسفارة الإيرانية في صنعاء جهدًا مكثفًا لاستقطاب أتباع المذهب الزيدي.

- وجود مقاتلين عراقيين في صفوف أتباع الحوثي، واكتشاف جثث لهم، واعتقال بعضهم.

- ما تم الكشف عنه من سماع مكالمات في صفوف الحوثيين باللغة الفارسية.

ملف التمرُّد الحوثي أرهق الدولة اليمنية، وكلَّفها الكثير ماديًّا وسياسيًّا وأمنيًّا، وقد بذلت الدولة في هذا الملف جهوداً كبيرة على مدى السنوات الأخيرة لتطبيع الأوضاع في صعدة، وخاضت الدولة إلى الآن ست حروب تسبب المتمردون في اندلاعها، وكانت الدولة تقبل في نهاية كل حرب وساطات من كثير من الجهات الداخلية والخارجية؛ أملاً في إنهاء هذه الأزمة، لكن الحوثيين كانوا يعيدون تجهيز أنفسهم وتسليحهم من جديد مع انتهاء كل حرب لمواجهة جديدة مع الدولة، وكانوا دائماً يختلقون المبررات لرفض كل هذه الجهود، وكانوا ينفِّذون عمليات اغتيال ضد المواطنين ورجالات الدولة وممثلي السلطة المحلية، وكانوا يتدخَّلون في إدارة شؤون البلاد في المناطق التي يسيطرون عليها، وقاموا بفرض الضرائب على المواطنين.

مرفوض مطلقاً أن تحمل أي مجموعة السلاح في وجه الدولة في بلد يسمح بالتعددية، وإن الدولة عرضت على الحوثيين العمل في إطار الدستور والقانون ولهم كامل الحق في إنشاء حزب يعبر عن أهدافهم ولهم إذا أرادوا تغيير نظام الحكم فأمامهم صناديق الاقتراع وإقناع الشعب اليمني به.

عدم حسم الحرب لمصلحة الدولة يؤكد تورط كثير من الجهات في تسليح الحوثيين وإمدادهم بالأسلحة الثقيلة التي لا يستخدمها إلا الجيوش النظامية، فإمكانيات الحوثيين القتالية ومعداتهم، وما يصرفونه من أموال يؤكد للجميع وبشكل لا يقبل التخمين أن هناك تدفقاً هائلاً للأسلحة والأموال عليهم، ومعنى ذلك أن هناك مصدراً لهذه الأموال والمساعدات والأسلحة.

هناك قناعة لدى أركان النظام اليمني بأن مطالب الحوثيين مرفوضة وغير منطقية، ومن ثم فإنها غير مقبولة، فالحوثيون يعدّون الدولة خارجة عن الشريعة وعن معايير الحق والعدل، ويرفضون النظام الجمهوري، ويريدون العودة إلى نظام الأئمة، ويدعون أنهم ممنوعون من ممارسة شعائر المذهب الزيدي، وهم يريدون أيضاً إنشاء جامعة لتدريس تعاليم الزيدية، ويطرحون قضية التنمية لمنطقتهم...إلخ، ونسوا أنهم هم الذين يعوِّقون هذه التنمية؛ لأن الحروب معهم - الممتدة على مدى سنوات طويلة- أعاقت التنمية وأعاقت إعادة الإعمار في صعدة، وأضرَّت بالمواطنين. ويتجاهل الحوثيون أنهم بإمكانهم تشكيل حزبٍ سياسيٍّ ينحو منحًى سلميًّا، وأن يضعوا هذا ضمن برنامج سياسي واضح ويطرحونه على الشعب اليمني والشعب هو الذي سوف يقرِّر إن كان سيؤيد برنامجهم أم لا[٨].

الحلم الإمبراطوري الإيراني التوسعي موجود دائماً في عقل النخبة الإيرانية، وقد كانت الإمبراطورية الفارسية ترى أن السيطرة على منطقة

الخليج بشكل خاص لن يتأتى لها إلا بالسيطرة وفرض النفوذ على اليمن السعيد، فالإمبراطور الفارسي (قباذ) سنة ٥٢٤ ميلادية هو الذي ساعد بمجموعة من جيشه الفارسي الحاكم اليهودي (ذي نواس) في حمير اليمن على حرق المسيحيين في الأخدود نكاية في الإمبراطورية الرومانية المسيحية بقيادة (جاستينيان) فخد (ذو نواس) اليهودي الأخدود وحرق آلاف المسيحيين، فيما عرف دينيًّا وتاريخيًّا باسم (أصحاب الأخدود)، مع أن الإمبراطور الفارسي (قباذ) لم يكن (يهوديًّا) ولم يكن (مسيحيًّا) بل كان (مزدكيًّا) وهى عقيدة اخترعها الفيلسوف الفارسي (مزدك)، وكانت أقرب كثيراً للمبادئ الشيوعية قبل اختراع ماركس بما يزيد على ألف وثلاث مئة سنة.

بمساعدة إيران، اندلعت أولى المواجهات بين (الحوثيين) والدولة اليمنية في صيف ٢٠٠٤م، وأسفر هذا الصراع من مقتل القائد (القدوة) حسين الحوثى في ٢٠٠٤/٠٩/٨م[٩].

كانت معركة الدولة اليمنية مع الحوثيين محصورة داخل مناطق معينة بعيدة من حدود السعودية. وفجأة تسللت عناصر مسلحة من داخل اليمن إلى موقع (جبل دخان) داخل الأراضي السعودية في منطقة جازان، وبادرت بإطلاق النار على دوريات حرس الحدود، قبل أن يعلن المكتب الإعلامي للحوثيين في اليمن مسؤوليته عن الحادث.

وغير بعيد أن طهران هي التي شجعت عبد الملك الحوثي على القيام بالخطوة الاستفزازية بهدف إحراج السعودية ودفعها إلى مطاردة أنصاره. ويبدو أن هذا العمل كان مخططاً له منذ وقت طويل، بدليل أن القوات السعودية عثرت على كميات ضخمة من الأسلحة المخبأة داخل مواقع يمنية خلف تخوم

البلدين. ويبدو أن إيران توقعت أن تطول مدة المواجهة، بحيث تنشغل السعودية بحرب استنزاف طويلة، تمامًا مثلما انشغل جمال عبدالناصر بحرب اليمن عقب انقلاب ١٩٦٢م. وفي حساب طهران أن مشاغل الحرب على الحدود الجنوبية الغربية للمملكة ستقيد تحركاتها في البلدان الأخرى مثل فلسطين ولبنان والعراق، وذلك يعطي طهران دوراً أكبر في المنطقة[١٠].

لقد سار سجل الصدام والحروب بين الحوثيين والدولة اليمنية كالآتي:

(١) في ١٨ يونيو/حزيران ٢٠٠٤م اندلعت الجولة الأولى بعد أن تحدثت مصادر حكومية عن مقتل ثلاثة جنود في مواجهات محدودة بين سلطات الإدارة المحلية في محافظة صعدة وأنصار «منتدى الشباب المؤمن» الذي يترأسه حسين بدر الدين الحوثي، ما جعل محافظ المحافظة يصدر قرارًا بالقبض على حسين الحوثي.

وعندما تحركت القوات المكلفة بالقبض على الحوثي نحو جبال مرّان على بعد نحو ثلاثين كلم جنوب غرب مدينة صعدة، حيث تحصن الحوثي، وأحاطت بالمنطقة اندلع القتال بشكل رئيس فيها، وكانت القوات تحسب أن العملية لن تستغرق سوى ساعات أو أيام قليلة إلا إنها سارت ببطء وسط مقاومة صلبة وضعت القوات الحكومية في موضع حرج أمام الرأي العام في الداخل اليمني وخارجه.

استمر القتال الشرس بين الجانبين حتى العاشر من سبتمبر/أيلول ٢٠٠٤م عندما تمكنت القوات الحكومية من الوصول إلى موقع حسين الحوثي وقتلته مع عدد من أنصاره، ثم أعلنت الحكومة وقفًا أحادي

الجانب للقتال، أعقب ذلك بعشرة أيام تسليم العشرات من المقاتلين أنفسهم للسلطات نتيجة وساطات قبلية.

(٢) أما الجولة الثانية فقد اندلعت في مارس/آذار ٢٠٠٥م بسلسلة من الاتهامات والاتهامات المضادة بين الحكومة وبدر الدين الحوثي (والد حسين) وعبدالله الرزامي، عضو البرلمان السابق، وكلاهما ينتمي لـ «حزب الحق» حيث وجهت للمعارضة، وحزب اتحاد القوى الشعبية تهم «بالسعي لاستئناف التمرد»، بينما اتهم بدر الدين الرئيس علي عبدالله صالح بعدم الاستعداد لإنهاء النزاع.

نتج عن ذلك اندلاع الجولة الثانية من القتال بهجمات أشد ضراوة إلى الشمال والغرب من صعدة، وقد استمرت المعارك نحو شهرين، بعد ذلك أعلنت الحكومة النصر ونهاية العمليات القتالية في مايو/أيار ٢٠٠٥م.

(٣) الجولة الثالثة نتجت عن استمرار المناوشات من الجولة الثانية، وقد امتدت تلك الجولة من أواخر عام ٢٠٠٥م حتى أوائل عام ٢٠٠٦م، وقد ظهر في تلك المواجهات متغير جديد هو العنصر القبلي، حيث بدأت المعارك على شكل مواجهات بين رجال قبائل موالية للحكومة ومقاتلين قبليين يدعمون المسلحين الحوثيين.

وقد ظهر في تلك المدة أخوا حسين الحوثي على المشهد الميداني زعيمين جديدين للمسلحين الحوثيين وهما عبدالملك ويحيى الحوثي، وشهدت محاولات حكومية لتهدئة الصراع، وذلك نتيجة قدوم موعد الانتخابات الرئاسية.

(٤) الجولة الرابعة انطلقت في الفترة من فبراير/شباط إلى يونيو/ حزيران ٢٠٠٧م ودخلها متغير جديد وهو تهديدات الحوثيين ليهود محافظة صعدة، وعلى الرغم من نفي الحوثيين ذلك، فإن الحرب كانت قد دارت، واشتدت حدة القتال لتمتد إلى مديريات متعددة بما في ذلك خارج صعدة.

انتهت الجولة الرابعة بفضل وساطة قطرية بعد زيارة الأمير الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني إلى اليمن في مايو/ أيار ٢٠٠٧م، حيث توصلت الحكومة والحوثيون إلى اتفاق لوقف إطلاق النار في ١٦ يونيو/ حزيران ٢٠٠٧م ثم قاما بتوقيع اتفاق الدوحة بتاريخ ٢ فبراير/ شباط ٢٠٠٨م على الرغم من بعض الاشتباكات المتفرقة بين الجانبين.

(٥) في مارس/ آذار ٢٠٠٨م اندلعت الجولة الخامسة على إثر اتهامات السلطة للحوثيين بخرق اتفاق الدوحة، وأنهم قاموا بهجومين عنيفين وسط نفي من الحوثيين، وقد امتد القتال في تلك الجولة إلى منطقة بني حشيش شمال العاصمة صنعاء، كما استمر في مدينة صعدة والجزء الشمالي من محافظة عمران.

وبتاريخ ١٧ يوليو/ تموز ٢٠٠٨م أعلن الرئيس صالح وقفًا أحادي الجانب لإطلاق النار، وقد وافق ذلك الذكرى الثلاثين لتوليه الحكم، وقد تباينت تفسيرات المحللين لهذا الإعلان منها أنه لخشيته من خروج الوضع عن السيطرة أو لوجود وساطة محلية أو انتقادات أمريكية وأوروبية متزايدة للوضع الإنساني في محافظة صعدة.

(٦) أما الجولة السادسة في الصراع بينهما فقد اندلعت بتاريخ ١١ أغسطس/آب ٢٠٠٩م بعد اتهامات للحوثيين باختطاف أجانب،

وترافقت مع وضع السلطات ستة شروط لوقف العمليات، كان أبرزها نزول الحوثيين من الأماكن التي يتحصنون فيها وانسحابهم من جميع مديريات المحافظة وتسليم ما استولوا عليه من معدات مدنية وعسكرية، والكشف عن مصير المخطوفين، ووقف عمليات التخريب.

وقد اتسمت هذه الجولة بتكثيف عمليات القصف الجوي منذ اليوم الأول لاندلاعها على مناطق الحوثيين في مناطق ضحيان والخبجي والحيرة والطلح وآل الصيفي وقهر ومران وبني معاذ وسحار وحيدان ومطرة وغيرها من المناطق.

وقد كانت خارطة القصف الجوي والمعارك والاشتباكات البرية خلال الأيام الأولى من الحرب تؤكد أن الحوثيين كانوا يحكمون سيطرتهم على مساحة شاسعة من محافظة صعدة، وأنهم سيطروا على عدد من منافذ الإمدادات العسكرية للجيش التي تمر إلى المدينة.

وقد خلفت الجولة الأخيرة من الصراع المستمر مئات القتلى من الجانبين وتسببت بنزوح عشرات الآلاف، حيث يقدر عدد النازحين منذ بدء الصراع بنحو ١٥٠ ألف شخص[١١].

من يراجع هذا السجل يخرج بانطباع واحد هو أن الدولة اليمنية لا تحارب تنظيماً خارجاً عن الشرعية وسيطرة الدولة فقط بل إنها تحارب دولة بكل جيوشها وإمكاناتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية والإعلامية. فمن أين أتي كل هذا الدعم لهذه المجموعة لكي يجعلها تستمر طوال هذه السنوات في مناوأة الدولة، بل فتح جبهة جديدة ضد دولة جارة هي السعودية؟

الهوامش:

(١) أحمد عائض، الحوثيون في اليمن، موقع (مأرب برس)، ٣ يونيو ٢٠٠٨م.

(٢) أنور قاسم الخضري، الحوثي والورقة الطائفية الخاسرة!!، موقع مفكرة الإسلام، ٦ مايو ٢٠٠٦م.

(٣) مريم أم الخير دلومي، الحوثيين واللعبة الكبيرة، موقع مايو نيوز اليمني، ١٤أبريل ٢٠٠٧م.

(٤) الشيخ روكان عضو اللجنة القطرية: مواقف المشترك مخزية وهدف الحوثيين زعزعة السعودية، موقع المؤتمر نت، ١٦نوفمبر ٢٠٠٩م.

(٥) موقع محيط، ٢٢ - ٨ - ٢٠٠٩م.

(٦) حوار عبده الناصر المملوح مع قائد التمرد الحوثي السابق الشيخ عبدالله المحدون، علاقة الحوثيين بإيران عسكريًّا، صحيفة الجمهور اليمنية الإقليمية، ٢٥-٩-٢٠٠٩م.

(٧) موقع مفكرة الإسلام، معارض إريتري: إيران تسلح الحوثيين عبر إريتريا، ٠٨ نوفمبر ٢٠٠٩م.

(٨) السيد أبوداود، الحرب في صعدة.. التشابك والتداعيات، موقع (الإسلام اليوم)، ١٧ سبتمبر ٢٠٠٩م.

(٩) (الحوثيون) أسنان إيران لقضم التفاحة اليمنية، اليوم السابع، ٢-١٠-٢٠٠٩م.

(١٠) سليم نصار، لماذا شجعت إيران الحوثيين على افتعال معركة الحدود اليمنية - السعودية؟ صحيفة الحياة اللندنية، ١٤ نوفمبر ٢٠٠٩م.

(١١) حروب الحوثيين الست.. رؤية تاريخية، الجزيرة نت، ٢١/١٠/٢٠٠٩م.